

العلاقة بين اللغة و : التفكير / الذكاء / الشخصية

اللغة، كما تقدم في الجاسة السابقة، أساس مهم للحياة الاجتماعية أو ضرورة من أهم ضروراتها، لأنها أساس لوجود التواصل في هذه الحياة و أسلس لتوطيد سبل التعايش فيها، فهي وسيلة الانسان للتعبير عن حاجاته و رغباته و أحاسيسه و مواقفه، و طريقه الى تصريف شؤون عيشته و ارضاء غريزة الاجتماع لديه.

واللغة كذلك أداة هذا الانسان للتخاطب مع الآخرين و التفاهم و تبادل الأفكار و الاراء و المشاعر معهم، وطريقه الى فهمهم و تحسس أدواقهم، وسبيلة الى معرفة شخصياتهم ووسائل التأثير فيهم، ويجاد العلاقات و بناء الروابط و تحقيق سبل التعاون و التكافل معهم. ومن ثم توفير كل مايساعد على العي بينهم في يسر و سلام، وبالتالي فاللغة تصبح أساسا لتوفير وتحقيق منافع و رغبة الإنسان.

واللغة ايضا وسيلة الانسان الى تنمية أفكاره و تجاربه والى تهيئته للعطاء و الابداع و المشاركة في تحقيق حياة متحضرة، فبواسطتها يمتزج ويختلط بالآخرين و عن طريق هذا الاختلاط يكتسب خبراته و ينمي قدراته و مهاراته اللازمة لتطوير حياته، ويزداد اكتسابه لهذه الخبرات و المهارات كلما نمت لغته و تطورت و زادت علاقته بالآخرين قوة و اتساعا.

وهكذا بفضل اللغة تتصرف شؤون الفرد و يتأكد و جوده و انتماءه لمجموعته البشرية، و بفضلها تنمو علاقات أعضاء الأمة و تتطور حياتهم و ترتقي حضارتهم. ومن هنا فحصول الفرد اللغوية لها علاقة مباشرة بمستوى تفكيه و ذكائه، وكذلك في تشكيل شخصيته. و في هذه الجلسة سوف نتحدث عن علاقة اللغة بالتفكير و الذكاء و شخصية الفرد.

اللغة و التفكير:

ولا تقتصر وظيفة اللغة على امداد الفرد بالأفكار و المعلومات و نقل الاحاسيس، بل إنها تعمل على إثارة أفكار و إنفعالات و مواقف جديدة لديه، و تدفعه الى الحركة و التفكير، وتوحي له بما يعمل لتفتح ذهنه و توسيع آفاق خياله وتنمية قدراته الابداعية.

وهذا ما دفع بعض الباحثين لان يربط اللغة بالفكر الانساني وان امكانية التفكير تستند أولا و اخيرا الى اللغة التي تستخدم في ابراز عناصر الفكر، ففرض انسان بلا لغة معناه فرض انسان دون فكر، بل ان بعضا اخر من حركات لا شعورية للاحبال الصوتية، وانه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء و نفسه.

إن هذا الرأي بطبيعة الحال مبالغ فيه، اذ على الرغم من التسليم بأنه من الصعب الاحتفاظ بنتاج الفكر و استعادته و نقله للآخرين دون اللغة، فان ذلك، كما يقول و ايتيهيد، لا يعني أن اللغة لا توجد ولا تحيا الا بالفكر و ماهيته، فكثيرا ما تقتصر اللغة مهما كانت سمعتها و قدرتها عن التعبير عن أفكار الانسان و خواطر ذهنه و نتاج قريحته. واذن فاللغة كما يعبر جفونز مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتفكير، غير أنها ليست شرطا ضروريا لحصوله، وليست ه التفكير نفسه، وانما هي آلهة و أدواته أو المساعد الآلي له.

إن أدوات اللغة و رموزها تعين الانسا على تصوير ما ينتجه هذا العقل و هذا الخيال، وعلى التعبير عما تفيض به أحاسيسه من انفعالات، وما تتمخض عنه قريحته من خواطر و أفكار، وما يكسبه من خلال تفاعله مع الحياة من تجارب و يتلقاه من معارف، وهكذا تعمل هذه الأدوات و هذه الرموز على تطوير قابليته على التفكير و على توضيح و تنظيم هذا التغير و الارتقاء به و بغيره.

اللغة و الذكاء:

يرى علماء التربية و علماء النفس أن النمو العقلي للانسان منوط بنموه اللغوي، وأنه كلما تطورت و اتسعت لغة هذا الانسان ارتقت قدراته العقلية فمما ذكاؤه و قوي تفكيره. و يرى لويس تيرمان أن المهارات اللغوية مقياس مهما لمعرفة نسبة الذكاء. فهناك علاقة ايجابية طردية بين ذخيرة الفرد من كلمات و نسبة ذكائه. فالافراد الذين يفكرون تفكيراً عميقاً و متنوعاً مضطرون في الغالب للبحث الجبري عن المعلومات و المعارف، نتيجة لذلك تجتمع لديهم حصيلة وافية من الافكار، ولا شك أن جزءاً من هذه الأفكار يشتمل على مجموعة من المفاهيم و المعاني الحسية و المجردة التي تدف الى اذهان هؤلاء و يستدعي البحث عن ألفاظ و صيغ لغوية تمكن من نقلها الى الآخرين و من التعبير عنها على نحو يتوافق مع العرف اللغوي العام. و بذلك فان الذكاء يسوق الى التفكير و التفكير يسوق الى اكتساب المادة المعرفية. و المادة المعرفية المكتسبة تقود في العادة الى البحث عن اللغة التي تنتقلها و تعبر عنها ، وبهذا يتكون الرصيد اللغوي الغزير ليكون دليلاً على الذكاء أو مشيراً اليه.

وكما هو معروف فانه كلما زادت نسبة الذكاء العقلي زادت قدرته على فهم ما يقرؤه أو يسمعه من لجم و العبارات، و من ثم اتضحت له العلاقات بين المفردات و مدلولاتها، و بالتالي زادت حصيلته اللغوية اللغوية، وعلى العكس من ذلك كلما قلت نسبة ذكاء هذا الفرد ضعف فهمه لما يقرأ أو يسمع، و من ثم ضعف ادراكه للعلاقات اللغوية و قلت حصيلته من المفردات و المعاني، وبناء على ذلك يمكن أن تكون ذخيرة الفرد الوافية من مفردات اللغة و مهاراته اللغوية عامة دليلاً على سعة تفكيره و نمو ذكائه.

ومما لا شك فيه أن عملية اختزان المفردات اللغوية و مدى المرونة في البحث عنها في الذاكرة و الاستجابة للمثيرات أو المنبهات التي تستحضرها في الذهن، ثم مدى القدرة على ربطها بما يتناسب معها من أفكار أو مفاهيم كلها أمور تدل على نسبة الذكاء و نمو التفكير و سرعته و على مدى ما قام به العقل من حركة و فاعلية في مجال الاختزال و التصنيف و التنبيه و التأثر و الاستجابة للمثيرات المختلفة و التصور و التصنيف و الاسترجاع و التحديد و الربط.

ولكن لابد من التنبيه الى أن علماء اللغة النفسي، و بخاصة المعرفيون الفطريون، يرون أنه لا علاقة للذكاء بدرجة اكتساب اللغة، وأن الناس لا يتفاوتون في طلائقهم اللغوية بسبب تفاوتهم في درجات الذكاء. ولكن اكتساب اللغة يتطلب حداً أدنى من الذكاء، فالمتخلف عقلياً بوجهة نظرهم تتخلف لغته عن لغة أقرانه الطبيعيين لهذا السبب فقط، غير أن متوسطي الذكاء و الأذكياء و حادي الذكاء لا يختلف اكتسابهم للغة بقدر تفاوت درجاتهم في الذكاء.

اللغة والشخصية:

ان لثراء الحصيلة اللغوية أثرا نفسيا على شخصية الفرد تتمثل في انفتاح الشخصية على ما يحيط بها و نمو غريزة الاجتماع لديها و من ثم نمو روح الألفة و الجراة الادبية و الثقة بالنفس. فالانسان الذي يقل محصوله من ألفاظ اللغة و صيغها يقل محصوله الفكري، كما تقل قدرته على التعبير و على التواصل مع الآخرين و التكيف معهم، وقلة المحصول الفكري و فقدان القدرة الكافية على التواصل و التكيف مع الآخرين قد يؤديان الى الشعور بالنقص و عدم تقدير الذات، ويمكن ان يقود الى الرغبة بالانسحاب و العزلة.

وهذا على خلاف من يملك ناصية اللغة، فهو بالاضافة الى أنه يستطيع تحقيق رغباته الحياتية و تلبية حاجاته من الآخرين بيسر يجد لذة بناء الروابط مع الآخرين وفي تبادل المشاعر و الاحاسيس معهم لان لقاءه معهم يعطيه فرصة لابداء مهاراته و التنفيس و ارضاء غريزة الاجتماع أيضا، إضافة الى ذلك يجد في نفسه طموحا الى اكتساب الخبرات و المعارف و الى بناء الشخصية و توسيع العلاقات الاجتماعية من أجل النفوذ.

و نتيجة لتكرار الاتصال بالآخرين و اتساع رقعة هذا الاتصال و ممارسة الاحتكاك، فان المحصول اللفظي المتوافر يصبح أكثر تداولاً. ولذلك لا يؤدي الى تكاثر هذا المحصول واتساعه وتنوعه فحسب، وانما يؤدي أيضا الى جعل المفردات و التراكيب و الصيغ و الأساليب المكتسبة أكثر حضورا في الذهن و أكثر بروزا و جلاء في الذاكرة، مما يجعلها أكثر طلاقة و سلاسة في التعبير، و بالتالي أكثر تهيؤا للابداع الفكري.

ويمكن القول على ضوء ما سبق ان لثراء الحصيلة اللغوية دورا كبيرا في جعل الفرد فعالا في محيطه و بين افراد مجتمعه، ويمتلك زمام الاخذ و العطاء، والاستفادة و الافادة، والاكتساب و الابداع، والنفوذ و التوجيه، متهيئا للمشاركة في بناء حضارة أمته والسير بهذه الأمة نحو الافضل. وهكذا فان وفرة الحصيلة اللغوية للفرد يوفر له قفزة نوعية في بناء شخصيته و مستقبله.